

مختصر ابن كثير

23 - ا نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر ا ذلك هدى ا يهدي به من يشاء ومن يضلل ا فما له من هاد .

هذا مدح من ا D لكتابه (القرآن العظيم) المنزل على رسوله الكريم قال ا تعالى :

{ ا نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني } قال مجاهد : يعني القرآن كله متشابه مثاني وقال قتادة : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف وقال الضحاك : { مثاني } ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى وقال عبد الرحمن بن زيد : { مثاني } مردد ردد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة وقال ابن عباس : { مثاني } أي القرآن يشبه بعضه بعضا ويرد بعضه على بعض وقوله تعالى : { تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر ا } أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف { ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر ا } لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه : (أحدها) أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات (الثاني) أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن { خروا سجدا وبكيا } بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى : { والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا } أي لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين إليها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم (الثالث) أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة B هم عند سماعهم كلام ا تعالى تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر ا لم يكونوا يتصارخون بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك تلا قتادة C : { تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر ا } قال : هذا نعت أولياء ا نعتهم ا D بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر ا ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع وهذا من الشيطان وقال السدي : { إلى ذكر ا } أي إلى وعد ا وقوله : { ذلك هدى ا يهدي به من يشاء من عباده } أي هذه صفة من هداه ا ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله ا { ومن يضلل ا فما له من هاد }